

يوسف أحرييس

الخلاص

بضربة ارادة واحدة تمت المعجزة .

تحولنا من كائنات لا كرامة لها ، كائنات كالسائمة او الحيوان الى بشر ذوي كرامة .

بضربة ارادة واحدة ردت الينا كرامتنا وعادت انسانيتنا .
لم اكن قبلا اؤمن كثيرا بدور الفرد في التاريخ .

لم اكن اعلم ان الفرد باستطاعته حين يجمع ارادته ان يحتوي فيها ارادة امة وتاريخ شعب وقدره حضارة .

ولكن البطل انور السادات غيّر من مفهومي .

سحق الهزيمة الكامنة في كل منا حين قرر العبور .

فبقراة لم يعبر جيشنا القناة فقط .

ولكن شعبنا عبر معه فيافي الذلة والمسكنة ، عبر الصفاوسر

والحقارات ، عبر الالام التي لا يطيقها بشر ، آلام العجز ، عبر الحياة .

كيفما اتفق الى الحياة كما يجب ان تكون .

كان العبور هو الخلاص .

يا لسعادتي وانا اسمع اسرائيل تتحدث عن (العذوان) المصري ،

يا لوقع الكلمة الحبيبة في اذني انا اخيرا اصبحنا ممتدين .

نحن اصحاب حق ولا يستعيد الحق الا اصحاب ممتدون .

اكاد لا اصدق كل ما يحدث .

احقا اصبحنا نقاتل لاستخلاص ارضنا وكرامتنا ؟

احقا ثبت لنا اننا لا عيب فينا وانما العيب دائما في الظروف؟

احقا عبرنا القناة ونحمررسيئنا ونحطم المدرعات ونسقط الطائرات

ونأسر منهم مئات ؟

احقا يحدث هذا كله ؟

بايدي مصريين مثلي ومثلك ؟

أم اقل انها المعجزة ؟

معجزة ارادة الامة حين تحتويها ارادة بطل .
فهذا ، وبهذا وحده تتحقق المعجزات .

الاهرام

١٢ تشرين الاول

يمين السلام

لم يكن عبور قواتنا المسلحة القناة واقتحام خط بارليف وتحير شرق سيناء عملا بطوليا في حد ذاته ، لقد كان واجبا . اما البطولة الحققة ، اما الملحمة التي ستظل اجيال كثيرة ، واجيال تتحدث عنها فهي الطريقة التي ادت بها قواتنا هذا الواجب المقدس.

والبطولة كلمة - في رأيي - مبهمه ، ان هاملت شكسبير بطل

وعطيل بطل ومحسن « عودة الروح » بطل ، ولكن البطولة هنا هي

ما تكشف عن انساننا المصري العادي من قوى خارقة لم تكن قبلا

ملحوظة فيه . ان المقاتلين المصريين كانوا اولئك الشبان الذين

كنت تراهم ولا تزال تراهم في شوارع القاهرة كائنات بشرية شابة

مبتسمة طيبة مسالمة ولكن ، كان لا بد ان تشهد هؤلاء وقد واجهوا

العدو ، انشباوا اظافرهم فيه ، لترى الى اي آمام خارقة تفتق عن هذا

الانسان المصري العادي كاننا لم نعرفه ابدا ولم تكن نتصور وجوده.

ولقد اتيج لي ان ازور قريبا لي جاء جريحا من الجبهة مصابا

برصاصة في كفه . كنت اعرفه وكان ياتينا قبل الحرب شابا ظريفا

حاضر التكنة احيانا يحدثني عن اشتياقه للقتال وظمه ان نخوض

الحرب وكانه يتحدث عن شفقه برؤية فيلم جديد . في المستشفى

وجدته كائنا اخر ، انسانا تكشف عنه الفشاوات تماما ، ناقب النظرة

ناقب الفكر ، جريشا وكان الخطر عبث ، وكان يصرخ طالبا ان يفك

عنه حصار المستشفى وان يعود لرفاقه في الميدان .

كان سعار حرب التحرير قد اصابه وحوله من المصري كما يحيا

ويوجد الى المصري كما يجب ان يكون . وحدثني طبيب المستشفى

عن الحكيمة المسئلة عن العنبر ان زوجها واخاها وزوج اختها يقاتلون

بداية ثورة رابعة

ان ما حدث في مصر ولمصر يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، لا يمكن ان نسميه بداية حرب تحرير فقط، لان في هذا غبنا له اي غبن ، انه في الواقع بداية للثورة الرابعة للشعب المصري ، تلك الثورات التي بدأت بثورة احمد عرابي ١٨٨٢ ، ثم ثورة ١٩ ، ثم ثورة ٥٢ ، ثم ثورة ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، بل اكاد اقول انها اعظم هذه الثورات جميعا، لانها بدأت والشعب المصري في اعماق اعماق الهزيمة ، بدأت والشعب في حالة من الاحباط ، وفي حالة من فقدان الشخصية ، وفي حالة من الياس ، وفي حالة من التردي في مفارقات الحرمان ، وانتفضت به من هذه الاعماق كلها ، الى قمة الثورة . وقمة الثورات في رايي، هي الثورة الشعبية المسلحة ، تلك التي يمسك فيها الشعب بسلاحه ، ويدافع به عن وطنه ، ويواجه عدوه وجها لوجه ، ويندية ليندية ، ودبابية لدبابية . وهذا هو ما حدث يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، لقد قادنا انور السادات في هذه الثورة الشعبية المسلحة قيادة لا اقول انها قيادة شخصي عادي ، لكنها قيادة بطل تحسس نبض الشعب ، وادرك انه يخزن في اعماقه طاقة وقوة ، قادرين على كبح جماح العدو ، فاعطى اشارة البدء بالمعركة ، كانت ضربة ارادة قوية اهتزت لها اعماق الشعب ، وتكشفت عنها بطولاته ، وما نسمعه الان من هذه البطولات الخارقة ليس جديدا ، وما نسمعه عنها لن يكون جديدا ، لان هذا الشعب يحتوي بين صدره كل مقومات البطولة ولكن وكانها كانت هناك مؤامرة من الاستعمار العالمي ، والقوى الرجعية ، والحكام الظفاة ، على كبح جماح هذه البطولة ، وعلى دفنها وعلى افساد الشعب لشخصيته . كان الاستعمار طوال الوقت يتحاشى الالتحام مع الشعب او يتحاشى بمعنى ادق ان يحمل الشعب سلاحه دفاعا عن حقه في الثورة ، وحقه في التحرير ، ولهذا حين قامت المظاهرات سنة ١٩٤٦ ، واحس الانجليز ان الشعب على وشك الغليان ، جلا الانجليز الى منطقتي فايد والسويس ، وحين حدث عدوان ١٩٥٦ ، ما كاد العدوان يبدأ حتى فوجئنا بايقاف اطلاق النار . وهذا هو ما حدث سنة ١٩٦٧ ، فما كادت الحرب تبدأ حتى انتهت دون ان يتمكن الشعب من ان يدافع عن نفسه ، ومن مواجهة عدوه ، ومن حمل السلاح دفاعا عن حريته ، ولهذا فنحن الان في فترة من اعظم فترات هذا الشعب ، انسي امشي في الشوارع واصفح الوجوه بناظري ، فاذا بها حافلة بالبشر ، واذا بالامسل يتفتح ، ولم يحدث اي تغيير يذكر في حياتنا ، لم يحدث سوى ان هذا الشعب احس انه لأول مرة يحمل السلاح دفاعا عن نفسه ومواجهته لعدوه ، انها ثورة . ثورة بالمضى الكامل للثورة ، وكل ما آمنه ان تمضي هذه الثورة فدما ، لنخلق مصر الجديدة ، مصر التي بشرنا بها ، والتي آمننا بها . والتي تفاءلنا بوجودها ، ان تخلق هذه المرة ذلك الخلق السوي الذي انتظرناه لها جميعا ، ذلك الذي حلم به عرابي ، ذلك الذي بشر به سعد زغلول ، ذلك الذي كافح من اجله جمال عبدالناصر ، نريد لكل هذا ان يتحقق على يد انور السادات ، وعلى يد الشعب المصري ، المتحرر ، الحر ، المدافع عن نفسه ، عن امجاده وعن تراثه ، وعن تاريخه . . المعيد الى الاذهان كل بطولاته السابقة من ايام احمس . . الى قطر . . الى انسور السادات . اني لشديد التفاؤل ، وعظيم الامل ، في ان كل ما حلمنا به ، وما ضيعنا العمر من اجله ، سيتحقق في هذه الثورة الرابعة من ثورات الشعب المصري .

في سيناء وهي تعمل طوال الاربعة والعشرين ساعة بلا كلل وانما بابتسامة غريبة كأنها تفتقت عنها ابواب السماء تحتل وجهها تزيل عنها وعن الاخرين التعب وتبث روح القتال وتبعث الامل . والظاهرة ليست افرادا مبغضين ، انها كل من لمستهم نار الحرب المقدسة ، كل من اطلق طلقة ، كل من عبر ولم يعبر ، كل من صاح وهو يهجم على الوكر اليهودي مسددا سلاحه صاحنا : الله اكبر .

هذه الظواهر دفعني للتفكير ، منذ مائة عام ، منذ احقاب طويلة واحقاب وشعبنا يتحرق شوقا لمواجهة عدوه . العدو الفاضل المستتر دائما خلف لافتات او ادعاءات او احلاف . والعدو الذي لم يتح لنا ابدا قتاله منذ موقعة رشيد ، الانجليزي مرة والاميركي مرة والصهيوني مرة . العدو الذي واصل خنقنا باصابع من فولاذ لا ترى ، الذي كان يكبل تقدمنا بقيود بالغة العنف . العدو الذي حرص دائما وابدا على ان لا يدع لشعبنا مطلقا فرصة قتاله او القيام بثورة شعبية مسلحة ضده . كنا ما تكاد تكامل اسباب الثورة وظروفها وما تكاد تحين لحظة الالتحام حتى يجهض المعركة فينسحب مرة الى فايد وصحراء السويس ، او يخلق الظروف التي تجبرنا على ايقاف القتال واطلاق النار ، دائما ينادى عن اظافر الشعب ان تشرع وعن انيابه ان تظل فهو يعلم العلم اليقين ان لو حدث مرة واتح لشعبنا ان يخوض معركته المسلحة فان الشعب لن ينتصر فقط وانما ستلوث في نار الحرب التي يخوضها الشعب كل ادران الماضي وصفاراته ، ستنتفك القيود ، سينطلق الانسان المصري جديدا كما لم يعرفه العالم منذ زمن طويل ، يبني مصر الجديدة العملاقة ، رافعا راسه الى اعلى والى الابد ، وهو ما خشيته دائما اعداؤه الفرنسيون والانجليز والاميركان والصهيونيون . ان حروب التحرير لا تخرب البيوت . انما تعمر البيوت ، ولا تقتل الرجال ، انما تبني الرجال وتستتبت الرجولة في الرجال . انها تحيل الانسان الصاغر من عبد الى حر يملك قدره ويضع مصيره ويملي على الحياة ارادته .

وهكذا فان الثورة الرابعة التي قادها العظيم انور السادات بعد ثورات ٨٢ ، ١٩ ، ٥٢ كانت اول حرب تحرير حقيقية نخوضها شعبا وقوات مسلحة ، امة وافرادا ، زعيما وقاعدة . ومنهنا سننتقل ، ولن يكون هناك حد لانطلاقنا . سنبني حضارتنا الحديثة التي طال الحديث عنها ، نحرر انساننا ويتحرر ويسبق ويبنسي وينتكر ويخلق .

وهكذا ايها الابطل الذين صنعتم لنا المجد ، ايها الابطل الذين استشهدتم والذين جرحتم والذين سلمتم . ان كل نقطة دم نزت من شهيد او من حي لن تذهب عبثا . سنظل عبر الاجيال تحفظ لها الجميل ، سنظل باعيننا نراها ونزعاها ونشمها ونستوحياها ، فننقذ دماننا الغالية التي بعثت على رمال سيناء سننسج خيوط المستقبل ومن رائحة الدم سنسكب ملء البحر عرقا وسنبذل كل ما نملك من دم ودموع .

وعلى هذا نقسم ، والله سبحانه على ما نقول شهيد .